

الشاعر الدكتور محمد نجيب مراد

بقلم
أ.د. غسان حمدون
www.hamdoun.net



الشاعر محمد نجيب مراد

إنه ابن حماة البار (شاعر العرب) محمد نجيب مراد الذي كان باراً في شعره بمدينة المجاهدة وعائلته وخاصةً أمه إذ رثاها بقصيدة تقطر دمعاً ودماً، بل كان باراً بسورية كلها، إذ وفى لها وفاءً طيباً وخاصةً دمشق الإسلام وحمص مدينة خالد بن الوليد رضي الله عنه.

لقد تسابق بشعره مع ألف وثلاثمائة وثمانين شاعراً بالشعر العربي الموزون، وتُوِّجَ بلقب شاعر العرب على هؤلاء الشعراء جميعاً، وقد تميز شعره بصور

الطبيعة الخلابة التي التصقت بخياله حين عاش أجمل صورها على ضفاف نهر العاصي في بساتين حماة ونواكيرها وحدائقها وأزهارها وطيورها وجسورها، كما تميز شعره بالحماسة فكأنه يقطر دماً من دماء الشهداء...، كما تميز شعره بالعاطفة الجياشة التي تحمل الحب الخالص لكل من يستحق الحب... وبالرغم من المحن الشديدة التي مرت بها مدينته وعائلته آل مراد فقد كان يسمو على هذه المحن منتصراً، فالشعور عنده يتحول إلى شعر هدار يوقظ به شعبه وأمته، خاصةً وهو مهاجر اضطر أن يعيش بعيداً

عن الروابي التي نشأ فيها والقوم الذين كان يأخذ منهم روح العزة والكرامة التي لا تزال حية بين جوانحه.

وبعد فوز الشاعر في قناة المستقلة على كل هؤلاء الشعراء من مدن عربية شتى نال جائزة مالية قدرها ثلاثمائة ألف دولار، لم يكن الشاعر مادياً إذ ألف شعره هذا وأحلاه وأنداه قبل المسابقة والإعلان عنها

كلنا تحية لهذا الشاعر البار بل وشكر له على المعاني الإسلامية والإنسانية التي قدمها للعالم في شعره.

عائلة المراد:

ينتسب الشاعر إلى هذه العائلة المرادية الكريمة التي حملت شرف العلم الشرعي والدعوة إلى الله في مدينة حماه في وسط سورية، وأمدت المدينة بعشرات العلماء والدعاة من خيرة رجالها، وتميزت بحبها للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فمنها:

الشيخ سليم المراد الكبير والشيخ أحمد المراد الكبير والشيخ عبد العزيز المراد أمين الفتوى في حماه والشيخ محمد علي المراد رئيس جمعية العلماء في حماه والشيخ بشير المراد مفتي حماه والشيخ نجيب المراد جدّ الشاعر والشيخ ظافر المراد والشيخ شامل المراد والشيخ أحمد عبد العزيز المراد مدرس عام وخطيب جامع الجديد والشيخ عبد الودود المراد مدرس و خطيب جامع الإحسان والشيخ ناجي المراد مدرس وخطيب جامع الأربعين والشيخ عبد المنعم المراد إمام جامع المسعود وخطيب جامع عين اللوزة وكذلك من أنساب هذه العائلة عالم حماه العالم العامل العلامة المجاهد شيخ الحنفية بلا منازع الشيخ محمد الحامد الحموي بركة الشام وسقيا سحابها رحمه الله الجميع و نفعنا بعلومهم آمين.....

من هذه العائلة يخرج الدكتور محمد نجيب المراد الذي تربي على العلم والتقوى ليكون شاعراً للعرب ومن قصائده الرائعة "البرقع" قالها في الكعبة المشرفة زادها الله عزاً وشرفاً:

- انظر منتدى الأصلين لعائلة المراد.

نشأة الشاعر:

لقد نشأ هذا الشاعر في وسط شعور عالٍ وأدب عربي رفيع في مدينة حماة التي لها تاريخ مجيد في ذكريات ماضية في حرب ضد المغول في عين جالوت ذلك بقيادة الملك المنصور ملك حماة الذي اشترك تحت القيادة المصرية في قتال المغول يقول المؤرخ العلامة ابن كثير في كتابه (البداية و النهاية): (وقد قاتل الملك المنصور ملك حماة قتالاً شديداً في معركة عين جالوت، هو و المستعرب أقطاي)، كما اشتركت مدينة حماة في محاربة الصليبيين عندما نصر أهل حماة نور الدين الزنكي ثم صلاح الدين الأيوبي وخاصة في معركة حطين.

قدم نور الدين الزنكي منبرين وضع أحدهما في جامع نور الدين الشهيد (جامع النوري) في حماة إكراماً لمجاهدي حماة الذين قاتلوا معه الصليبيين، وأوصى أن يوضع المنبر الآخر في المسجد الأقصى ووفى صلاح الدين بما أوصى به معلمه ومعه جنود حماة في حطين وغيرها، كما اشتركت مدينة حماة في محاربة الاستعمار الفرنسي مع مدينة دمشق وذلك عام 1925م بقيادة فوزي القاوقجي، واستولى المجاهدون على مدينة حماة بأسرها، وطردوا القوات الفرنسية وفعلت دمشق فعل حماة، فكان نصيبهما الإغارة بالطائرات الفرنسية مما أدى إلى تدمير واسع في المدينتين حتى قال الشاعر عز الدين التتوخي موضحاً ما حل بدمشق وحماة من جور الاحتلال الفرنسي:

قف بالمنازل نادباً أطلالها	ماذا يفيدك أن تطيل سؤلها
قد أحرقت عمداً دمشق فلم تعد	تصف الجميلة للورى بجمالها
أعلمت أن حماة لم يدعوا بها	حجراً على حجر يريك ظلالها
وسوى النواعير التي بنواحها	تبكي حماة نساءها ورجالها

كما قام أهل حماة بثورة ضد الفرنسيين قبل خروج الاحتلال عام 1945م، وكسروا الحملة الفرنسية، وحجزوا بعض الدبابات، وأحاطوا بتكنة الشرفة التي كان بها المستعمرون الفرنسيون وأنصارهم من الخونة، وقتلوا قائد الحملة الفرنسية وانسحب بعد ذلك المستعمرون الظالمون تاركين وراءهم أسلحتهم كشرط أساسي لنجاتهم، وساحة النصر لمجاهدي حماة مقابل حي عين اللوزة حتى الآن تشهد بنصيبها التذكاري لانتصارات المجاهدين.

إن حماة مدينة مصونة محمية، وخاصة عندما أكرمت آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نُقلوا من العراق إلى دمشق، فلما وصل موكبهم إلى حماة أكرمهم أهل المدينة أيما إكرام، فسألت زينب رضي الله عنها ما اسم هذه المدينة؟ قالوا حماة فقالت: حماها الله من كل ظالم.

لذلك كانت دائماً النتيجة مهما بعدت مع أهل هذه المدينة لدعاء الصالحين لها وإصرار العلماء والدعاة بها على نشر هذا الدين العظيم.
لو أضفنا إلى هذا أن مدينة حماة مدينة جميلة في بساطتها وجسورها ونواعيرها ونهرها وحدائقها وأزهارها وطيورها فظهرت جميلة تأخذ بالألباب، فهذا الشاعر عدنان قيطاز في ديوانه (اللهب الأخضر) يقول:

أحماة كانت أمسياتك حلوة والعيشُ سمحاً، والزمانُ مساعداً
وعلى ضفافك للشباب مجالسُ للأنسِ تقادُ النقيّ الزاهداً
والمطربُ الصّداحُ فوق خميلةٍ يشدو فيملاً مسمعيّ قصائداً
وصدى نواعيرِ العصورِ يهزّني هزاً ويُسكّرني حيناً تالداً

وصوت الناعورة يزيد الشجن شجناً، ويزيد الابتهاج ابتهاجاً إذا سمعه السامع.
فمن الشجن ما قاله الشاعر محمد نبيل الأصباشي:

إيه يا ناعورتي صبي لي الدمع السخيّا
واصطفي من لغة الأشجان شجواً عبقريا
ثم ثوري مثلما نار الأسى المهتاج فيّا
وتعالّي نسكّب النجوى نشيداً حمويّا
ونصّب الآه في سقياه والشجّو النجيّا
فأنا ما زلت أشدو للأسى لحني الشجيّا
فاعذريني إن هجرت الصقّو والعيش الهنيّا
وغدا قلبي شجياً بعدما كان خليّا

هذا الشعور التاريخي في المدينة بالإضافة إلى جمالها ولد شعوراً قوياً عند الشاعر يتراوح ما بين الشعور بالجروح والفخر بالانتصارات وجمال المدينة الرائعة ويضاف إلى هذا قوة علم اللغة والدين عند علماء هذه المدينة، كل ذلك ولد عند الشاعر شعراً يمتاز بالجمال عظيماً في حماة، فكان من شعرائها بدر الدين الحامد،

وعبد القادر الحداد ونبيل القصباشي، ومنير جنباز وغيرهم كثير كثير حتى قالت مجلة العربي عن حماة بعد زيارة فريقها لحماة وعلى غلاف المجلة مباشرة: (حماة مدينة الألف شاعر). في هذه الأجواء وهذا الشعور وهذا التنافس نشأ شاعرنا محمد نجيب مراد فكان يستحق ذلك اللقب بجدارة (شاعر العرب). ولكن عليك أن تعلم يا أخي القارئ أن من هؤلاء العلماء من توفوا تباعاً، ومنهم من غابوا فجأة عن الساحة، فرحمهم الله تعالى وأجزل ثوابهم.

من سيرته الذاتية

ميلاده: ولد في مدينة حماة عام (1957م)

المؤهل العلمي: دكتوراه في جراحة الأنف والأذن والحنجرة، من جامعات باريس - فرنسا.

الوظيفة: يعمل استشارياً لجراحة الأنف والأذن والحنجرة بمستشفى الولادة والأطفال بجدة.

الإنتاج الشعري: كثير وغزير فله أربعة دواوين شعرية.

وأوتي الشاعر حسن إلقاء الشعر، فهي موهبة تزيد شعره وضوحاً وتألقاً وسمواً، وذلك عندما يعيش السامع في أجواء الشاعر العاطفية والخيالية وذلك في نبرات صوته المعبرة عن الصورة والشعر والعاطفة.

وللشاعر قصائد كثيرة، وسنعرض مقتطفات من بعض هذه القصائد، إذ لا يسع المجال لذكر كل هذه القصائد، وقد أوردت أكثرها في موقعي على الإنترنت.

ومن قصائده:

مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم

للشاعر قصيدة مطولة في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم شرحها الدكتور حاتم الطبشي في كتاب.

ولما استهزأ أعداء النبي صلى الله عليه وسلم به ردّ عليهم الشاعر بقوله تعالى: ((إنا كفيناك المستهزئين)) و أنشأ قصيدة مطولة دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فما قال في هذه القصيدة:

"دفاعاً عن حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تَبَّتْ يَدَاهُمْ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَخَلَدَتْ فِي حَقْبِ الزَّمَانِ رَسُولًا
وَمَضَى عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرُكَ طَيِّبًا وَمُجَوِّدًا ... وَمُرْتَلًّا تَرْتِيلًا
وَقَفَ الزَّمَانُ أَمَامَ هَيْبَةِ أَحْمَدِ وَتَحَدَّثَ النَّبْلَاءُ عَنْهُ طَوِيلًا
وَالْمَجْدُ أَسْرَجَ لِلنَّبِيِّ خِيَوْلَهُ الْمَجْدُ كَانَ مَبَادئًا وَخِيَوْلًا
اللَّهُ يَسْمَعُ مَا يُقَالُ بِحَبِّهِ لَوْ شَاءَ رَدًّا... كَانَ (جِبْرَائِيلًا)
كَفَلَ الْإِلَهَ الرَّدَّ... مَا مُسْتَهزِئٌ إِلَّا ... وَصَارَ مُفْتَتًّا مَأْكُولًا
مَا كَانَ يَجْرُؤُ ضَدَّ أَحْمَدَ حَاقِدٌ لَوْ كَانَ يَسْمَعُ لِلْخِيُولِ.. صَهِيلًا
نَامَ الرَّجَالُ فِيهَا عُلُوجٌ اسْتَيْقِظِي وَتَمَائِلِي وَتِرَاقِصِي تَطْبِيلًا
يَا رَبِّ أَشْكُو... وَالْجِرَاحُ ثَخِينَةٌ وَالذَّلُّ صَارَ مُجْمَلًا.... تَجْمِيلًا
مَرَضَتْ سِيُوفُ الْمُسْلِمِينَ وَخِيْلُهُمْ وَغَدَا زَمَانُ الْمَاجِدِينَ عَلِيًّا
وَإِذَا سِيُوفُ الْحَقِّ أَهْمِلَ أَمْرَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ مُقَدَّسٍ ... مَذْلُولًا

الشاعر ودمشق

لقد هاجر شاعرنا ربع قرن بعيدا عن روابي سورية عامة و دمشق وحمص خاصة فتلهف إلى وطنه حبا وشوقا قائلا تحت عنوان قصيدة:

(تباريحُ الشوق)

وَطَنَ الْوَرْدِ وَالْخَزَامِي لَعْمَرِي مَا أَحْيَلًا وَرْدُهُ وَخُزَامَةُ
رِحْلَةَ الْفَلِّ مِنْ دِمَشْقٍ اسْتَهَلَّتْ خَطَّ عِطْرِ وَطِيَّرتْ أَنْسَامَةُ
مَهْرَجَانُ الْجَمَالِ يَبْدَأُ بِالشَّامِ وَإِنَّ الْجَمَالَ فِي الْأَصْلِ شَامَةُ

وعيونُ النساءِ تبدأُ بالشامِ
وَمِنْ "المزّة" القصيدةُ تبدو
وعلى الشرفةِ القديمةِ حَمٌّ
و"بلودانُ" أسكرَ الناسَ لكنْ
ما ألدَّ الهوى بريءَ النوايا
مرحباً يا دمشقُ، ألفَ سلامٍ
قدري أنني حماتُك حُباً
ثَلثُ قرنٍ مضى وأنتِ ذِمَامُ
كُتِبَ الهجرُ لستُ أدري إلى مَهْ
"وطني لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه"
وجئتُ مهجتي على ركبتيها
فهمُ الخلقُ أنني لا أُغالي

فتمحو ليلاً الضنى وظلامه
شاعرُ الحُبِّ قد شدا إلهامه
عَلَّمَ الكونَ كُلَّهُ أحلامه
دونِ خمرةٍ بنظرةٍ وابتسامه
عندَ أطرافِ "دُمُرٍ" و"الهامة"
من ضلوعٍ ومهجةٍ مستهامةٍ
وقصيدةٍ وشارةٍ وعلامه
حفظَ القلبُ عهدَه وذمامه
ولماذا يخصُّني وعلى مَهْ
عُدتُ يوماً مُقبلاً أقدامه
وتكومتُ دمعاً قدامه
لو رأى الخلقُ "حمصه" أو "شامه"

الشاعر والدكتاتورية

لاحظ الشاعر الضغوط على كل صاحب فكر حر وشاعر طليق، فهو ينطق بشعره وسط خنق الدكتاتورية وعذابها ووعيدها، فهي تنتهمه بالتمرد و التطرف و التآليب على كل حال، ومع ذلك فهو يُصرُّ على أن يصدع بالحق على نهج أبي نر الغفاري ومصعب بن عمير رضوان الله عليهما.

فالشاعر مع أهل الشهيد إذا حملوه، وهو مع المهاجر ينقل أناته ويقدم كبده لأولاده، فهو فوق حصار الدكتاتورية أبداً، ودوماً سيغلب بإذن الله، فمما يقول تحت عنوان

قصيدة (الحصار)

"الأنا ... في هذه القصيدة هي لسانُ حالِ الشاعرِ العربيِّ الحرِّ"

وعيونُهُ نابٌ يَعُضُّ ومخلبٌ
فإذا شَهَقْتُ فذاك ما يَتَسَرَّبُ
أو قلتُ أهأَ قالَ ذاكَ تَهْرَبُ
أو قلتُ يا لَلظلمِ قالَ مُخْرَبُ
التي فُتِلتُ أشاحَ يَكْذِبُ
مذبوحَةً بالأمسِ قالَ تَوْلِبُ
تلكَ التي دمعَ الفيجعةِ تَشْرَبُ
شَزراً رمانِي قائلًا: تَتَكَبُّ؟!
وإذا أبيتَ فبابُ ناريَ أَرْحَبُ
وعلى مساماتي فأين المَهْرَبُ؟
صرَّحتُ متٌ وإذ المَحُّ أُضْرَبُ
ولو أغنَّني بالحياةِ أُغْيَبُ
ويزيدُ إيلاماً إذا أتَقَلَّبُ
حلكَ الظلامُ وضاعَ مني المَرْكَبُ
أني أبو ذرٍّ وأنِّي مُصْعَبُ
ضَجَّتْ له الدنيا وضاقَ الكوكبُ
أرأيتَ خيلاً في الوَعَى تَتَجَنَّبُ
وأنا الهتافُ بمجدهِ والموكبُ
رَحَلتُ معَ البؤساءِ حيثُ تَغْرَبُوا
كَبِدي وأتركُها لهم كي يَلْعَبُوا
فأنا بإذنِ الله دوماً أَغْلِبُ
فوقَ الحصارِ مَخْلَدٌ ومقَرَّبُ

قلُّ لي بحقِّ الله كيفَ سأَكْتُبُ
ويدهُ ضاغطتانِ فوقَ تَنفُّسي
إن قلتُ واهأَ قالَ ذاكَ تَمْرُدُ
أو قلتُ وارباهُ قالَ تَطْرُقُ
وإذا حكيتُ عنِ العصافيرِ الملوَّنةِ
وإذا بكيتُ على الخيولِ رأيتُها
وإذا هَمَمْتُ بأنَّ أطارحها الهوى
أو جئتُ من حيثُ الرجالُ تَقَحَّمُوا
هذا صراطي إن أردتَ فمرحبا
إنَّ الحصارَ على فمي وعلى دمي
أنا أعرفُ الفخَّ المَرْكَبَ إنَّ أنا
وإذا صَمَّتْ اغتالني وجعُ الغناءِ
أنا ذلكَ الجرحُ المُمِضُ مُمَدِّداً
قلمي على كتفي وبحري عاصفٌ
أنا جئتُ من حيثُ القبيلةِ أَعْلَنْتُ
وأنا نقوشُ العزِّ والفتحِ الذي
وأنا ضميرُ الخيلِ في ساحِ الوَعَى
وأنا أكفُ الحاملينَ شهيدهم
وأنا المناديلُ المطرَّزةُ التي
وأنا أبو الأطفالِ أنثرُ بينهم
شعري سيلقفُ إفكَ سِحْرِكِ في ضحَى
حاصرٍ شِفاهيَ بالمقارضِ إنني

آهات على فراق حماة و الأستاذ

هاجر الشاعر من بلده حماة فحن إليها متذكراً كل شيء فيها بعد فراق ثلث قرن،
وأهم ما فيها أستاذه ومعلمه الشيخ أحمد مراد (الشهيد) فما يقول تحت عنوان
قصيدته (الأستاذ):

حكاية حب، خضبت المدامع
فساعة وصل مطلب متواضع
بلحظة وصل ليس أكثر طامع
وليت الذي قد كان في الحب راجع
وتحت ظلال الزيزفونة ساجع
تداعب خد الماء وهو يطاوع
ومسكن أحبابي... غيوث هوامع
وعطر صلاتي تحتويه الجوامع
يلقن علماء اللورى ويتابع
تهز وفي سحر البيان، بدائع
فترتيل آيات مع المد رائع
وإن شرح الأرواح، صبب ووالع
وبالعقل والأرواح تملى الشرائع
بفضلك... ها برهان شعري قاطع
فمسكك فواح وشعري ضائع
فمنك إلى عينيك هذي المقاطع
فحارت بشعري في هوك المراضع
وتشهد في هذا عليك طبائع
وزادهم رفعا بأن يتواضعوا
إذا جمعتني يوم فخر مجامع

سأكتب فوق البحر والشمس والمدى
فمن ثلث قرن مطلبي متواضع
وأطمع حتى بالأقل وإنني
فليت زمان الفل والورد عائد
وليت حماما فوق صفصاف دارنا
وليت على النهر الحبيب نسائما
وليت غيوما فوق داري وحاتي
وليت أذان الفجر ما زال عابقا
وليت على المحراب (أحمد) جالس
خطيب له فوق المنابر وقفة
ومنه تعلمنا القراءات عذبة
إذا شرح القانون، فقه مقارن
كذلك، أقدار الرجال تشككت
فيا أيها الأستاذ إنني شاهد
فمنك قوافي الطيب صغت عبيرها
وأبحرت في عينيك أجمع لؤلؤا
وأنت الذي أرضعتني فنظمتها
وأنت سليل العارفين لربهم
رجال، رأيت الله يرفع قدرهم
"أولئك آبائي وفخري بفعالهم

الهجرة الخامسة

يشد الشوق الشاعر في هجرته الخامسة إلى بلده حماة و إلى دمشق فيودعهما.
وكذلك خوفا .. او طمعا، يحمل المثقف العربي (لحمه) (وقافه) (وضاده) ويهاجر،
فمما يقول تحت عنوان (الهجرة الخامسة):

كُتِبَتْ قَسْوَةُ الشَّاتِ عَلَيْنَا	فَسَنُونَ قَحْطًا وَسَبْعَ شِدَادُ
وَبِلَادٍ وَرِحْلَةً وَجَوَازُ	وَجَوَازُ وَرِحْلَةً وَبِلَادُ
يَا أَبَانَا قَالَ الصَّغَارُ تَعْبِنَا	سَفَرٌ دَائِمٌ فَأَيْنَ الْمُرَادُ
يَا أَبَانَا كَيْفَ الْخُلَاصُ وَرَفْقًا	بَطَيُورٍ قَدْ هَدَّهَا الْإِجْهَادُ
يَا أَبَانَا مَا زِلْتَ تَحْمِلُ جُرْحًا	يَتْتَمَى مَعَ الْأَسَى يَزْدَادُ
إِنَّ بَارِيَسَ عِنْدَ رَجْلَيْكَ جَاءَتْ	فَلَمَّاذَا هَذَا الْجَوَى وَالْحِدَادُ
يَا أَبَانَا حَزَنٌ بَعَيْنِيكَ يَبْكِي	وَعَلَى "السَّيْنِ" بِهَجَّةٍ وَوَدَادُ
مَا الَّذِي فِي عُرُوقِ قَلْبِكَ يَجْرِي	شَجْنٌ دَائِمٌ وَذَكَرَى تَعَادُ
فَوَدَاعًا يَا جُرْحَ قَلْبِي وَدَاعًا	وَوَدَاعًا فَدَمْعَتِي ضِمَادُ
وَوَدَاعًا يَا غُوطَةَ الشَّامِ عَهْدِي	أَنْنِي الْوَعْدُ وَالْهَوَى مِيعَادُ
وَسَلَامًا عَلَى حَمَاةٍ وَإِنِّي	يَشْهَدُ اللَّهُ - سَيْفُهَا وَالْمَدَادُ

و أخيرا لا يسعنا في نهاية هذه القطوف الشعرية الدانية إلا أن نويد المحكمين في قناة المستقلة
لما توجوا به شاعرنا د.محمد نجيب مراد بلقب شاعر العرب بعد تقدمه على ما يزيد على
ألف وثلاث مائة شاعر لبيب. و الحمد لله رب العالمين.